

التبيان في تفسير القرآن

(347) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (44) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (45) وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا (46) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (47) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذيتهم توكل على الله وكفى بالله وكيلًا) * (48) ثمان آيات. هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بصدق أنبيائه، يأمرهم بأن يذكروا الله ذكرا كثيرا، والذكر الكثير أن نذكره بصفاته التي يختص بها، ولا يشاركه فيها غيره، وننزهه عما لا يليق به. وروي في أخبارنا أن من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة، فقد ذكر الله كثيرا، وكل صفة لله تعالى فهي صفة تعظيم، وإذا ذكر بأنه شيء وجب أن يقال: إنه شيء لا كالأشياء، وكذلك أحد ليس كمثله شيء وكذلك القديم هو الأول قبل كل شيء، والباقي بعد فناء كل شيء. ولا يجوز أن يذكر بفعل ليس فيه تعظيم، لأن جميع ما يفعله يستحق به الحمد والوصف بالجميل على جهة التعظيم، مثل الذكر بالغنى والكرم بما يوجب اتساع النعم، والذكر احضار معنى الصفة للنفس إما بإيجاد المعنى في النفس ابتداء من غير طلب. والآخر بالطلب من جهة الفكر. والذكر قد يجمع العلم، وقد يجمع الشك. والعلم لا يجمع الشك في الشيء على وجه واحد. والذكر أيضا يضاد السهو، ولا يضاد الشك، كما يضاده العلم. وقوله * (وسبحوه بكرة وأصيلا) * أمر لهم بأن ينزهوا الله تعالى عن كل قبيح وجميع ما لا يليق به، بالغداة